❑ المُقَدِّمَةُ ❑

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم ﴾

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**﴾ [النساء: ١].

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً**﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

❑ **أما بعد؛** فإن أصدَقَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وأحسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ محَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُها، وكُلَّ محدثةٍ بدعَةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ.

وبعد:

فسوفَ نَتَنَاوَلُ شَرْحَ كتابِ " **ثلاثة الأصول** " للإمامِ محمَّدِ بْنِ عبدِ الوهَّابِ رحمه الله، ولكن قَبْلَ أَنْ نَبْدَأَ نَأْخُذُ نُبْذَةً يَسِيْرَةً عَنِ الإمامِ رحمه الله.

○ نُبْذَةٌ مُهِمَّةٌ عن الإمام محمَّدِ بْنِ عبدِ الوهَّابِ رحمه الله:

نُبذةً سريعةً عن حياتهِ ومولدهِ ونشأتهِ؛ لأنَّه ينبغي لطالب العلم أن يكونَ على معرفةٍ بسيرةِ هؤلاءِ الأكابرِ؛ حتى يقتَدِيَ بهم؛ في سمتِهِم، وأخلاقِهِم؛ فلَيْسَ اقتداؤُنَا بالعلماء في تصنيفاتهم وكتبِهِم فحسْبُ! بل لأجلِ الوصولِ لمحبة الله تعالى ورسوله، ولكي نصلحَ الأقوالَ والأفعالَ معَ اللهِ تعالى.

❍ مولِدُهُ :

هو إمامٌ عَلَمٌ من أعلام الأمة في العصر الحديث، وُلد في بلدةٍ بجانب مدينةِ الرِّياض، تُسمَّى عُيينة عام ألف ومائة وخمسة عشر هجريَّة، وتوفى عام ألفٍ ومائتين وستةٍ، عن عُمُر يُنَاهِزُ واحدًا وتسعين عامًا.

❍ نشأتُهُ :

نَشَأَ ﷺ في بيئةٍ صالحةٍ متدَيِّنَةٍ؛ فوالدُهُ كان عالمًا فقيهًا لنَجْدٍ، قامَ بتحفيْظِهِ القُرآنَ، واعْتَنَى بِهِ، وَرَبَّاهُ تربيةً طيبةً؛ فَقَبْلَ بُلُوغِهِ العاشرةَ كان قد أتمَّ حِفظَ القرآنِ الكريم، وهذا ببركةِ الأبِ الصالحِ؛ فمَهْمَا كانتِ الأمُّ صالحةً لا تستطيعُ إخراجَ نَشْءٍ هَكَذا (في أحيانٍ كثيرة) إلا بصلاحِ الأبِ؛ لذلك يَنْبَغِي عَلَى النساءِ الحرصُ عَلَى اختيار الزوج الصالحِ؛ فهو خيرُ معينٍ بَعْدَ الله تعالى.

وقد قَذَفَ اللهُ تعالى في قلبهِ حُبَّ الدين والدفاعَ عَنِ السُّنةِ؛ فاهتمَّ الإمامُ بأمرِ الأمَّة، وبدأَ رحلَتَهُ في طلبِ العلمِ.

❍رحلتُهُ في طلب العلم :

كانت رحلتُهُ في طلب العلم على مَرْحَلَتين :

❶ المرحلةُ الأُولَى :

كانت في الجزيرة العربية؛ فقد بَدَأَ يَبْحثُ عن طلب العلم، وانشغل بذلك، وكانت البدعُ آنذاك منتشرةً بشكلٍ كبيرٍ في الجزيرة العربية وغيرها؛ فاهتم الإمامُ ﷺ لذلك، وعزمَ عَلَى شيئين:

١- تحصيلِ العلم.

٢- قَمْعِ البِدَع.

ظلَّ في شبه الجزيرة العربية مدَّةً ، ثمَّ انتقل إلى البصرةِ - في العراق -.

❷ المرحلةُ الثانيةُ :

كانت في البَصْرَةِ - بالعراق -، وقد انتشرت البدعُ والضَّلالاتُ هناك (أيضًا)، من التعلُّق بالأموات والأضرحة، ولذلك؛ يُكْثِرُ الإمامِ ﷺ جدًّا في كتاباته من الكلام على الشِّرك والتعلُّق بالأمواتِ والقبورِ؛ حتى إنك تكادُ

تشعرُ أنَّ الأبواب بها تكرارٌ، وهذَا من كثرةِ ما رأى الإمامُ ما يحدُثُ من هذه الشِّركيَّاتِ في شبْهِ الجزيرةِ العربيةِ وغيرِهَا – آنذاك –.

لقد ظلَّ وقتًا في مدينة البصرةِ مُدافعًا عن السُّنَّةِ محاولًا نِشْرَ الدينِ، وكان قد أحب الانتقال من البصرةِ إلى الشَّامِ؛ لنشر العلمِ، ولكنْ حَالَ بينَهُ وبيْنَ الانتِقَالِ شيْئَانِ :

❶ قلةُ المالِ :

كانت ظروفُهُ الماديَّةُ متعسرة؛ فلم يستطعِ الانتقالَ من البصرة إلى الشام؛ لأنه يحتاج إلى تكلفةٍ، وكان قد رزقه الله عفَّةً؛ فكان لا يسألُ الناس شيئًا من المال، وهذه سمةُ المؤمن أن لا يتوكلَ ولا يعتمدَ إلَّا عَلَى الله عَزَّ وجلَّ ؛ فأبى أن يأخذ أموالًا من أحدٍ ؛ لذلك لم يستطع الخروج إلى الشامِ.

❷ انتشارُ البدعِ :

فشَعَرَ أنَّهُ لَو انتقلَ إلى الشام؛ سيزيد انتشار الشركيات بين عموم الناس في هذه البلاد، فرأَى أَنْ يبدأ فيهم بالإصلاح أولا ثم يَنتَقِلَ لغيرهم .

❍ عودتُهُ إلى بلدهِ ومحاربتُهُ للبدعِ :

ظَلَّ الإمامُ رحمه الله مدَّةً في العِرَاقِ؛ لِنَشْرِ الدِّيْنِ والتَّعْلِيْمِ والتعلُّم، ثم انتقل إلى بلدته – مرةً أخرى – عُيَيْنَةَ، وهي تَقْرُبُ من مدينةِ الرياض بالمملكة العربية السعودية ، وتبْعُدُ عنِ الرياض بحوالي سبعين كيلو مترًا؛ فرَحَّبَ به أهلُ بلدهِ، وعاش فيها مدَّةً محاولًا إقامة السُّنة، وقمْعَ البدعةِ بكلِّ الطرقِ.

وقد كَانَت هناكَ – في بلدتهِ – قبورٌ للصَّحابةِ، قَدْ بَدَأَ النَّاسُ في تَعْلِيَتِها وتَعْظِيْمِهَا، منها قبرُ (زيدَ بنِ الخطَّاب) – شقيق عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه–، وكان أكثرُ الذين استُشْهِدُوا في معركةِ اليمَامَةِ من الصَّحَابةِ قد دُفِنُوا في هذه القبورِ عامَ اثْنَي عَشَرَ هِجْرِيَّة؛ فكان الناسُ يذهُبون عند قُبَّةِ قبرِ زَيدِ بنِ الخطَّاب يتمَسَّحُون فِيْهَا[1]؛ فسأل الإمامُ القائمين عَلَى ذلك أن يساعدُوهُ في هَدْمِ هذه القُبَّةِ التي كانت على القبر؛ فاستطاع هدْمِها، وسوَّى القَبْرَ.

---

(١)كالذي يحدث – الآنَ – في مصر عند قبر الحسين ، والسيدة زينب ، والسيد البدوي ، وغير هؤلاء ؛ فيتمسَّحُ الناسُ

فبَعْدَ أن فَعَلَ ذلك هاجمه الناس كثيرا! وبدَءُوا في التَّشْنِيع،واختلاقِ الأكاذيبِ فتارةً يتهمونه بكره الصَّحابة، وتارة بكره أهلَ البَيْتِ، وتارة يشيعون عنه أنه سيهْدِم الكعبة بَعْدَ ذلك !! وغيرها من أباطيل.

فأهلُ البدعِ دائمًا ما يحبُّون أنْ يُلْقُوا التُّهَم جُزَافًا على المتمسِّك بالسَّنةِ بقصدٍ أو بغيرِ قصْدٍ؛ فدائمًا صاحبُ البدعةِ يحاربُ صاحبَ السنةِ، وهذه معركةٌ مستمرةٌ لا تنقطعُ، فالصراعُ بين الحقِ والباطلِ صراعٌ ماضٍ قديمٌ، وسنَّةٌ ماضيةٌ لا تنقطعُ؛ لذلك حاولَ أهلُ البدع منْعَهُ، وتشويهَ دعوتِهِ!

وهَكَذَا كلُّ صَاحِبِ بدعةٍ تجدُهُ شديدًا يعاونُهُ شيطانُهُ على ذَلِكَ !!

وكان يُدَرَّسُ – لَنَا – أنَّ مِنْ مَنَاقِبِ (محمَّد عَلَي) – الذِي حَكَم مِصْرَ – : القضاءُ على الحركَة الوهَّابيَّةِ؛ فكانُوا يُصَوِّرُون لنا الوهَّابيِّيْنَ[1] أشرارًا يكْرَهُون الصَّحَابَةَ، ويهدِمُون قبورَهُم، وذَلِكَ لأنَّ الإمامَ محمدَ بْنَ عبدِ الوهَّاب رحمه الله قَامَ بهدمِ قبرِ زيدِ بن الخطَّاب، وبعضِ قبورِ الصحابةِ، ولكنَّ الإمامَ فعَلَ ذلكَ؛ لأن القبورَ كانت مُشْرِفَةً، والسُّنَّةُ أنَّ القبر لا يعْلُو أكثرَ من شبرٍ؛ لما ثَبَتَ عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ « **أَنْ لَا تَدَعَ تِمْثَالًا إِلَّا طَمَسْتَهُ ، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ** »[2].

فمِنَ السُّنَّةِ ألا يكونَ القبرُ عاليًا؛ فالسُّنَّةُ دَفْنُ الميتِ في قبرٍ – لحدٍ كان أو شِقٍّ – ثم تُسَوَّى الأرضُ، ويُرْفَعُ شبرًا؛ كي يُمَيَّزَ.

وأما تعْلِيَةُ القُبور فهي باطلةٌ وحرامٌ؛ لأنها تُفْضِي إلى عبادةِ المقبور، وهذا الذي حَدَث ووقعَ بالفعل؛ فالناس اليوم أصبحتْ تطوفُ حولَ قبورِ مَنْ تعتقدُ صلاحَهُم، وكأنَّ هذه القبورَ هي الكعبةُ !! فالنبيُّ ﷺ كان يعلمُ ذلك؛

بهذهِ القبور ، ويعتقدُون في صاحبِ القبر أنه واسطةٌ بينهم وبين الله عزَّ وجلَّ ، وكلُّ هذا من الشِّركِ الأكبرِ – عياذًا باللهِ – .

(١) مع العلم أن هذه التسمية (الوهابيون) باطلة اختلقها الأفاكون، والمقصود منها: التنفير من دعوة الإمام.

(٢)أخرجهُ مسلمٌ (برقم : ٩٦٩).

فحفاظًا على جنابِ التوحيد، وسدًّا لذرائعِ الشركِ مَنَعَ ذلك، وأمَرَ بتسويةِ القبورِ بالأرضِ، حتَّى لا يتعلق قلبُ أحدٍ بصاحبِ قبْرٍ.

خطَرُ التعلُّقِ بالشَّيء المَادِّيِّ :

والتعلُّق المادِّي يكُون قويًّا كلَّمَا نَقَصَ إيمانُ العبد، وكلَّمَا علا إيمانُهُ وارتفَعَ وارتَقَى في مدارجِ الكمالِ ضعُفَ تعلقُهُ بالمادةِ؛ لأنَّ إيمان العبد إذا ضعُفَ، ضعُف تعلُّقُهُ بالله عزَّ وجلَّ، وزاد تعلَّقه بالأشياء المادِّية؛ فيصير كالذي يريدُ أن يَعْبُدَ إلهًا ملموسًا يمسكُهُ بيدِهِ؛ فلَيْسَ عنده قناعة أن يعبدَ الله تعالى الذي لا يُرَى في الدُّنيا، فالمادَّةُ لها سلطانٌ قويٌّ، ولضَعْفِ إيمانِهِ سيْطَرتْ عليه.

فسُلْطَانُ المادةِ سَيْطَرَ عَلَى عُقُولِ العض؛ فأصبَحَتْ عِبَادُتُهم مُتَعَلِّقَةً بأَشْيَاءَ مَلْمُوسَةً؛ فيَذْهَبُون إلى صاحبِ القَبْرِ؛ سواءً كانَ نبيًّا أَوْ وليًّا أو غَيْرَ ذلك؛ فيَعْبُدُونَهُ من دونِ اللهِ عزَّ وجلَّ لضَعْفِ الإيمانِ.

ولَكِنْ إِذَا ارتَقَى العبد وَعَلا في مَدَارجِ الإيمانِ زادَ انسلاخُهُ من الدُّنيا، وقَلَّ تعلُّقُهُ بها؛ فإذَا رُئِي ؛ قِيْلَ عنه زاهدٌ .

والمقْصُودُ؛ أَنَّ إيمانَ هَذَا الإمامِ ابنِ عَبْدِ الوَهَّابِ رحمه الله عَجِيْبٌ، ولا نُزَكِّي عَلَى اللهِ أحدًا؛ فكَانَ يدعو منفردًا، ولكِنَّهُ استطاعَ نَشْرَ السُّنَّةِ، وهَدْمَ البِدْعَةِ في الجزيرةِ العربيةِ، وفي السُّعُودِيَّةِ حفظَهَا اللهُ تعالى.

وانتَشَرت –كَذَلِكَ – كتبُهُ عَلَى مُسْتَوى العالِمِ الإِسْلامِيِّ، ومن الصعب أن يستغني طالب علم أو معلِّم في عصرنا الحالِي عن كتب الإمام مُحَّد بن عبد الوهَّاب بشكلٍ عامٍّ، والعجيبُ أنَّها كلَّهَا متونٌ؛ فكتابُ التوحيدِ متنٌ مختصرٌ، وعددُ أوراقِهِ قليل، ولكنَّ الله عزَّ وجلَّ جعلَ فيه بركةً عجيبةً؛ فقامَ بشرحِهِ الإمامُ ابنُ بازٍ رحمه الله، والإمامُ ابنُ عثيمين رحمه الله، وغَيْرُهما من العلماء، وطلابُ العِلْمِ الذين أخَذُوا شَرْحَ هَذَا الكتابِ عَنِ العُلَمَاءِ؛ هُمْ أيضًا قاموا بشَرْحه؛ فكُلُّ هذا من بركةِ إخلاصِهِ، وحبِّهِ للهِ، وهَمِّهِ ، وحرصِهِ عَلَى الدِّين – نَحسَبُهُ كذَلِكَ ، ولا نُزَكِّي عَلَى اللهِ أحَدًا –.

فَهَذَا كَانَ دَأْبَهُ، بخلافِ كَثِيْرٍ مِنَّا ؛ فنَحْنُ مَا زِلْنَا مَشْغُولين بأَنْفُسِنا، ولكِن هذا الإمامَ كانَ شُغْلُهُ الشَّاغِلُ أن يَنْصُرَ دينَ اللهِ عزَّ وجلَّ، ويحقِّقَ التوحيدَ، وينصُرَ السُّنَّةَ، ويقْمَعَ البِدْعَةَ؛ لا هَدَفٌ آخَرُ يشْغَلُهُ ولا عوائق تعوقه؛ فرحِمَهُ اللهُ تَعَالَى رحمةً واسعةً، وجَمَعَنَا بِهِ مَعَ نبيِّنَا محمدٍ ﷺ في جنَّاتِ النَّعِيْمِ .

ومن هَذَا المنْطَلِقِ أحْبَبتُ أَنْ أُسْهِمَ مَعَ هؤلاءِ الأئمةِ وطلابِ العلمِ بشرحِ كتابٍ من كُتُبِ هَذَا الإمامِ رحمه الله؛ ألا وهو:

(كتاب ثلاثة الأصول)

والله أسألُ أَنْ لا يَحْرِمَنَا الأجرَ، وأن يرزقنا الإخلاصَ في القولِ والعملِ، والحَمْدُ لله ربِّ العالمين.

❐ قَالَ المُصَنِّفُ ❑

(بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

🕮 الشَّرْحُ :

بدأ الإمامُ رحمه الله الكتابَ بالبَسْمَلَةِ، وهذا صنيعُ أكثرِ أهلِ العلمِ، يبدءونَ كتَابَاتِهِم بالبَسْمَلَةِ عملاً بحديثِ : «**كُلُّ كَلَامٍ ، أَوْ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُفْتَحُ بِذِكْرِ اللهِ ؛ فَهُوَ أَبْتَرُ – أَوْ قَالَ : أَقْطَعُ**»[1]، وفي روايةٍ: « **لا يُبْدَأُ فيهِ بِبِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرحيمِ** ».

ولكن الحديث ضعيفٌ (جدًّا)، ولكنَّ البدْءَ بالبَسْمَلةِ خيرٌ وبركةٌ ؛ فإذا أردتَ فِعْلَ شيءٍ؛ فَلَكَ أَنْ تقولَ ذَلِكَ؛ إذِ البَسْمَلَةُ مشروعةٌ ومستحبَّةٌ في جميعِ الأعمالِ.

---

(١) أخرجه ابن أَبي شَيْبَة (١١٦/٩) (٢٦٦٧٤) ، وأحمد (٢/ ٣٥٩) (٨٦٩٧) ، وأبو داود (٤٨٤٠) ، وابن ماجه (١٨٩٤) ، والنَّسائيُّ في " الكبرى" (١٠٢٥) ، (١٠٢٥٦) .

والروايةُ الأخرى ؛ للخطيبِ في " الجامع لأخلاقِ الراوي " (١٢١٠) .

وقال ابنُ الملَقِّنِ في " البدر المنير " (٥٣٠/٧) :

"رَوَى هَذِه الْأَلْفَاظ الْحَافِظُ عبد الْقَادِر الرهاوي «فِي أربعينه» .

فَائِدَة : مَعْنَى «ذِي بَال» : حَالَ يهتم بِهِ، و «أقطع» و «أَجْذم» : قَلِيل الْبركَة ".

قُلْتُ : وقد حسَّنَ الحديثَ جماعةٌ ! لكن أعلَّهُ آخرون بالاضطرابِ والإرسالِ ، وهو الصوابُ ؛ كما في " الإرواء " للعلامة الألباني (٢٩/١ و ٣٠) .

وأمَّا عن معْنَى البَسْمَلةِ :

وهي جديرةٌ بالبيانِ؛ فكلُّ سورةٍ من سُوَر القرآن تبدأُ بها؛ فأقلُ شيءٍ أن نَعْلَمَ معْنَى ما نقرَؤُه؛ سواءٌ كان في قراءةِ القرآنِ، أو في الصَّلاة.

أولاً : (بِسْمِ) : مَعْنَى (الاسْمِ)؛ كَمَا قَالَ الزَّجَّاجُ رحمه الله : مَعْنَى قَوْلِنَا: (اسْمٌ) هُوَ مُشْتَقٌّ من: السُّمُوِّ، وهُوَ الرِّفْعَةُ [(١)].

قَالَ أبو العباس رحمه الله: الاسْمُ: رسْمٌ وسِمَةٌ توضَعُ على الشَّيء تُعْرَفُ بِهِ[(٢)] .

فـ: (الاسْمُ) – عِنْدَهُم – مَعْنَاهُ : العلامةُ أو السِّمةُ؛ أي: علامةٌ للشيءِ تُعلَّم بهِ؛ فتميِّزُهُ بها؛ فَمَثلاً: علامةٌ تُمَيِّزُ فلانةً عَنْ فلانَةٍ وفلانَةٍ؛ فَهذِهِ اسمُهَا (لَيْلَى)، وَهَذهِ (أَمَلٌ)؛ فهذه علامةٌ على لَيْلَى، وهَذِه علامةٌ عَلَى أَمَلٍ .. وهكَذَا.

ولكنَّ شيخ الإسلام ابنَ تيمية رحمه الله اعترضَ وقال: وَقَوْلُ الْكُوفِيِّينَ : إنَّ الِاسْمَ مُشْتَقٌّ مِنْ (السِّمَةِ) صَحِيحٌ؛ إذَا أُرِيدَ بِهِ هَذَا الِاشْتِقَاقُ، وَإِذَا أُرِيدَ بِهِ الِاتِّفَاقُ فِي الْحُرُوفِ وَتَرْتِيبِهَا؛ فَالصَّحِيحُ: مَذْهَبُ الْبَصْرِيِّينَ؛ أَنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنْ السُّمُوِّ؛ فَإِنَّهُ يُقَالُ فِي الْفِعْلِ: سَمَّاهُ، وَلَا يُقَالُ: وَسَمَهُ، وَيُقَالُ فِي التَّصْغِيرِ: سُمَيٌّ، وَلَا يُقَالُ: وَسِيمٌ. وَيُقَالُ فِي جَمْعِهِ: أَسْمَاءٌ، وَلَا يُقَالُ: أَوْسَامٌ[(٣)] .

والاشتقاق الخاصُّ أفضلُ، وهُوَ يُحْصِي المعنيين معًا.

وقال رحمه الله: وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنْ " السُّمُوِّ " وَهُوَ الْعُلُوُّ؛ كَمَا قَالَ النُّحَاةُ الْبَصْرِيُّونَ، وَقَالَ النُّحَاةُ الْكُوفِيُّونَ : هُوَ مُشْتَقٌّ مِنْ " السِّمَةِ "، وَهِيَ الْعَلَامَةُ، وَهَذَا صَحِيحٌ فِي " الِاشْتِقَاقِ الْأَوْسَطِ "، وَهُوَ مَا يَتَّفِقُ فِيهِ حُرُوفُ اللَّفْظَيْنِ دُونَ تَرْتِيبِهِمَا ؛ فَإِنَّهُ فِي كِلَيْهِمَا (السِّينُ وَالْمِيمُ وَالْوَاوُ)، وَالْمَعْنَى صَحِيحٌ؛ فَإِنَّ السِّمَةَ وَالسِّيمَا: الْعَلَامَةُ. وَمِنْهُ يُقَالُ :

---

(١) لسان العرب (١٤/٤٠١).

(٢) المصدر السابق

(٣) مجموع الفتاوى (٢٠/٤١٩).

وَسَمْته أَسِمُهُ ؛ كَقَوْلِهِ : ((سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ)) [القلم:١٦]، وَمِنْهُ: التَّوَسُّمُ؛ كَقَوْلِهِ: ((لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ)) [الحجر:٧٥]؛ لَكِنَّ اشْتِقَاقَهُ مِنْ " السُّمُوِّ " هُوَ الِاشْتِقَاقُ الْخَاصُّ الَّذِي يَتَّفِقُ فِيهِ اللَّفْظَانِ فِي الْحُرُوفِ وَتَرْتِيبِهَا، [(١)]

وَمَعْنَاهُ أَخَصُّ وَأَتَمُّ؛ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي تَصْرِيفِهِ: سَمَّيْتُ ، وَلَا يَقُولُونَ: وَسَمْتُ، وَفِي جَمْعِهِ: أَسْمَاءٌ لَا أوسَامٌ، وَفِي تَصْغِيرِهِ: سُمَيٌّ، لَا وَسِيْمٌ. وَيُقَالُ لِصَاحِبِهِ: مُسَمًّى، لَا يُقَالُ: مَوْسُومٌ، وَهَذَا الْمَعْنَى أَخَصُّ[(٢)] .انتهى.

فـ : (الاسْمُ) يَتَنَاولُ اللَّفْظَ والمعْنَى المتَصوَّر في القَلْبِ، وَقَدْ يُرَادُ بِهِ مُجَرَّدُ اللَّفْظِ، وقَدْ يُرَادُ بِهِ مُجَرَّدُ المعْنَى، مِثْلُ: إذا نَطَقْنَا اسْمَ (الله) يَأْتِي عَلَى البَالِ اللفظُ والمعنى؛ فإِذَا مررتُ الذِّكْرَ عَلَى قَلْبي؛ فأذْكُرُ اللهَ بقَلْبِي، وأتذكَّرُ عظمتَهُ ورحمتَهُ وعفوَهُ وجلالَهُ، وأتذكَّرُ أسماءَه وصفاته؛ فهَذَا ذِكْرٌ بالقلبِ، وإذا سَبَّحْتُ أو استغفرتُ أو قرأتُ القرآن، فهَذَا ذكرٌ باللسانِ؛ فهناك ذكرٌ بالقلبِ وذكرٌ باللسانِ.

ولشيخ الإسلامِ رحمه الله كلامٌ في ذلكَ، وهو من قسَّمه، ولكنَّ (الذِّكْرَ) المذكُورَ في القرآنِ الذي يُثَابُ عليهِ العَبْدُ، والذِي أمرَنَا اللهُ عزَّ وجلَّ بهِ في القرآنِ والسنةِ؛ لابُدَّ فيهِ من تحرُّك اللسانِ بهِ؛ كما جاء في الحديث القدسيّ: « **إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : أَنَا مَعَ عَبْدِي إِذَا هُوَ ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ** » [(٣)] .

أي: تحرَكَتْ بـ: (اسم الله)؛ وعليه؛ فَقَد قَالَ العلماءُ: لِكَي يكونَ الذِّكْرُ ذكرًا؛ لابدَّ أن يتحرَّكَ اللسانُ والشَّفَتَانُ بهِ.

---

(١) للمتوسمين: قيل: المتفرسين، وقيل: للناظرين، وقيل: للمعتبرين، وقيل: للمتأملين –انظر: تفسير الطبري (٦١/٨)، وتفسير ابن كثير (٥٥٤/٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٠٧/٦-٢٠٨).

(٣) علَّقهُ البخاريُّ مجزومًا به ، كتاب التوحيد ، (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : { لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ } [القيامة: ١٦]) . ووصلهُ في " خلق أفال العباد " (ص : ٩٦) ، وأحمدُ في " المسندِ " (برقم : ١٠٩٦٨) ، و (١٠٩٧٥) ، وابن ماجه (٣٧٩٢) عن أبي هريرةَ . وصحَّحَهُ العلاَّمةُ الألبَانيُّ في " المشكاةِ " (٢٢٨٥) .

وهنَا سؤالٌ مهمٌّ؛ ألا وهو: هَلْ ذِكْرُ القَلْبِ بدُونِ اللسَانِ يُثَابُ عَلَيْهِ العَبْدُ ؟

والجوابُ: نَعَمْ، يُثَابُ عليه العبدُ؛ فكُلُّ عملٍ يفعلُهُ العبدُ للهِ يُثَابُ عليه، فمجرَّدَ النِّيَّةِ يثاب عليها العبد أيضًا. فإذا صَدَقَ النِّيَّةَ، وَنَوى مَثَلًا أَنْ يَزُورَ مَرِيضًا، ولكِنْ حَالَ بَيْنَهُ وبَيْنَ زِيَارَةِ المريضِ شيءٌ أَخَذَ الأجرَ بِصِدْقِ نِيَّتِهِ . وكذَلِكَ؛ إذا ذَكَرَ العبدُ ربَّه في نفْسِهِ، وقلْبُهُ مُعَلَّقٌ به أَخَذَ أَجْرًا. وأيضًا؛ جهادُ العبدِ لنفْسِهِ لَهُ فيهِ أجرٌ؛ مثل أن يُجَاهِدَ نَفْسَهُ عَلَى فِعْلِ عَمَلٍ مُعَيَّنٍ، فيأَخَذَ أَجرًا، وإنْ لم يَسْتَطِعْ عَمَلَهُ.

فلا يَضِيعُ شَيءٍ عندَ الله عزَّ وجلَّ؛ فلا يَنْشَغِلُ العبدُ أو يقْلَقُ مِنْ ذَلِكَ؛ لأنَّهُ تَعَالَى الكريمُ المَنَّانُ، ويُعْطِي أضعَافَ أَضْعَافَ مَا يَتَخَيَّلُ العَبْدُ، ولكِنْ عَلَيْهِ أَنْ يَنْشَغِلَ بِصَلاحِ حَالِهِ.

فقضِيَّةُ الحسَابِ والميزانِ، وكيفية حساب الحسنات ومقدارها، لا ينبغي أنْ تحسب بهذهِ الطريقةِ!! يُمْكِنُ أن نَنْشَغِلَ بالذِي عِنْدَ العبادِ،كَأَنْ يَكُونَ لي مالٌ عِنْدَ أَحَدٍ؛ فَأَهْتَمُّ وأَحْرِصُ عَلَيْهِ، وَأَتَأَكَّدُ؛ هَلْ سَيُعْطِيهِ لي أم لا ؟! فنحنُ بَشَرٌ؛ لكِنْ لا يَنْبَغِي أن يتعاملَ العبدُ مَعَ اللهِ بهذه الطريقة...

والمقَصُودُ: أن يُجَاهِدَ العَبْدُ نَفْسَهُ عَلَى حُضُورِ القَلْبِ أَثْنَاءَ العَمَلِ؛ لأنَّ هَذَا أَدْعَى لتأثيرِ العَمَلِ عَلَى قلْبِهِ.

❍ أهميةُ ذكرِ القَلْبِ :

ذِكْرُ القلبِ له أهميةٌ كبيرةٌ جدًّا؛ لأنه مَهْمَا ذَكَرَ العبدُ ربَّهُ باللسان، والقلبُ غافلٌ؛ فالتأثير ضعيف، وهذهِ إشكالية كبيرة: وهي أنْ تكونَ جميع أعمالك في الظاهرِ منضبطة، لكن قلبك في غفلةٍ، غيرُ يقِظَةٍ، ولا تتدبر المعَاني ولا تتفكر في الآيات، فلا تنتبه للأمر والنهي؛ فتَجِدُ الكَثِيْرَ (منَّا) في الصَّلاة – مثلاً – يقرأُ ويَتْلُو الآياتِ باللسَانِ فَقَطْ، ويَسْجُدُ ويَرْكَعُ، ثُمَّ يخرُجُ من الصَّلاة، ولم ينتبه ما قرأ، وبم سبح وكبر؛ لذلك لا توجدُ ثمرةٌ – في الغالب– ؛ لأنَّ اللسَانَ هُوَ الذي تحرَّكَ، والقلبُ قاس غافل لم يَتَحَرَّك.

وكذلك أذكارُ الصَّبَاح والمسَاءِ، وذِكْرُ اللهِ عامةً في أيِّ وقتٍ؛ فَهَذَا كلُّهُ إِذَا قِيْلَ بدُونِ حُضُورِ القَلْبِ؛ فَسَوْفَ يحصل العبدُ منه أجرًا؛ فالله عزَّ وجلَّ كريمٌ؛ فإذا قال العبدُ: "سبحان الله "، أخذَ أجرًا؛ لما ثَبَتَ عن رسُولِ الله ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ**»[1].

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٦٤٠٥) ، ومسلمٌ (٢٦٩١) عن أبي هريرة .

ولكِنْ أينَ القَلْبُ؟!! فبسبب هذه المشكلة ينتكس المسلم ويقع أمام المشكلة الأولى التي تواجهه، فبأول ابتلاء تظهر سلامة القلب من سقمه، فلا تتعجب وتندهش إن رأيت رجلا ظهر على جوارحه الصلاح انتكس وزل، فقد التزمت جوارحه بأمر ربه ولم يلتزم قلبه، فنسأل الله السلامة.

والإمدادُ من الله عزَّ وجلَّ للعبدِ يكونُ عَلَى قَدْرِ تعلُّق قلبِهِ به سبحانه؛ فالإمدادُ يأتي على قدر ما بالقلْبِ، ولَيْسَ بالظاهِرِ فقط؛ فَكُلَّما تعلَّقَ القلبُ بالله كانَ الإمدادُ منه عزَّ وجلَّ أَقْوَى وأعْظَمَ، وكلَّمَا كانَ القلبُ غافلاً، ومتعلِّقًا بغيرِه سبحانه؛ فالإمدادُ يكُونُ ضعيفًا، وبالتَّالي يكُونُ التَّوفِيْقُ ضعيفًا؛ لذلك يَشْتَكِي بَعْضَ النَّاسِ مِنْ صُعُوبَةِ

حفْظِهِ للقُرآنِ، وصُعُوبةِ تَحْصِيْلِ العِلْمِ، ونِسْيَانِهِ، فنقول أن القلْبُ هُوَ السَّبَبُ، ونحَاوِلُ جَاهِدِيْنَ بَسْطَ ذَلِكَ بِصُورةٍ أُخْرى؛ فنَقُولُ:

❍ أسبابُ صعوبةِ تَحْصِيْلِ العِلْمِ وغيرِهِ مِنَ الطَّاعاتِ :

بعضُ طلَّابِ العلم يَتْرُكُ العِلْمَ، فيقولُ: عنْدِي صعوبةٌ في التَّحْصِيْلِ، ولا أستطيعُ المذَاكَرَةَ؛ فما العلاجُ ؟!

فنقولُ لَهُ: القضيةُ ليست صُعُوبَةَ مذاكرةٍ ولا غيرَ ذلك، ولكنها قضيةُ قُلُوبٍ؛ فالقَلْبُ مُعَلَّقٌ بِغَيْرِ اللهِ؛ فَلَمْ يَسْتَطِعْ المداومة والاستمرار، بالرغم من كونه في الظَّاهِرِ طالبُ عِلْمٍ، يَحْضُرُ دُرُوسَ العِلْمِ وحلقاتِهِ، ولكنَّ قلبَهُ غافل؛ فَهُوَ يعمل بالجوارحِ فَقَطْ في الظَّاهِرِ، وكَأَنَّ لِسَانَ حَالِهِ يقُولُ: أَنَا أَفْعَلُ كلَّ مَا طُلِبَ مِنِّي؛ فالله عزَّ وجلَّ أمَرَ بالصلاةِ؛ فصَلَّيْتُ، وحثَّ على بر الولدين ففعلت، وغير ذلك من العباداتِ، وكأنَّ ذلكَ هَمٌّ يريدُ إزاحته عن نفسِهِ فقط ؛ فيَعْمَل العَمَلَ بِغَيْرِ قَلْبٍ ولا شُعُورٍ أو حضورٍ؛ حَتَّى إِذَا أَرَادَ فَتْحَ أَيِّ بابٍ؛ سواءٌ بابَ عِلْمٍ أَوْ غيره، يجِدُ البابَ مُغْلَقًا، والإمدادَ من الله ضعيفًا، بل ويجِدُ عوائقَ في الطَّرِيقِ لا تخطرُ له على بالٍ !!

إنَّ السَّبَبَ الحقيقيَّ هو أنَّ القَلْبَ ضَعُفَ، والذِي أَضْعَفَهُ بجانب الذنوب والمعاصي- شعر بها العبد أم لم يشعر-، عَدَمُ التِفَاتِهِ لمعَاني الذِّكرِ؛ سَوَاءٌ في الصلاةِ، أو التَّسبيحِ، أو قِرَاءَةِ القُرْآنِ.

فهَذِهِ عوائقُ تَحُولُ بين العبدِ وبين الوصُولِ للهَدفِ، من قيامِ الليلِ، وحفظِ القرآنِ، وطلبِ العلمِ، وغير ذلكَ.

فلابُدَّ من الانتباهِ لهذه القضيةِ؛ لأنها غايةٌ في الأهميةِ والخُطُورةِ ؛ فالعِلاجُ المتحتِّمُ لمثلِ هذهِ المشكلاتِ والشَّكاوى التي نسمعُهَا من كثيرٍ من طلابِ العلمِ، هو: التفاتُ القَلْبِ للمَعَانِي، وإجْبَارُهُ وإجْبَارُ النَّفْسِ على تدبرها والتفكر

فيها، وأن يأَطِرَ العَبْدُ نفْسَهُ عَلَى الحقِّ أطرًا ؛ فيَمْنَعُ نفْسَهُ أنْ تَسْرَحَ مِنْهُ في حَالِ الصلاة، أو الذِّكْرِ، أو تلاوةِ القُرْآنِ، أو غير ذلك، وهَذَا بالاستعانَةِ باللهِ، وحُسْنِ التوكُّل عليهِ، ثُمَّ بَذْل الجُهْدِ، واستفراغِ الوقتِ في التركِيْزِ في الصلاة وغير ذلك من العبادات؛ لأنَّ الإيمان لن يعْلُوَ إلا بذلك؛ فأحاولُ أثناءَ الصلاة أنْ أتْرُكَ الشَّواغلَ التي تحِيْطُ بي؛ فأُغْلِقُ البابَ، وأنزعُ سِلْكَ التِّلِيفُون، وأغلِقُ التِّليفونَ المحْمُولَ، فكل هذا من الجهاد ، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [العنكبوت:٦٩]؛ فإذَا حضَرَ قلبُكَ في الصلاةِ، خرجتَ من الصَّلاةِ بقَلْبٍ مختلفٍ تمامًا، وكذلك عند تلاوةِ القرآنِ لا يكُنِ الهَمُّ تلاوةَ جزءٍ أو اثنينِ أو عَشَرَةٍ، وليَكُنِ الهمُّ استشعارَ مَعَاني القرآنَ وتَدَبُّرَهُ؛ فَقَد قَالَ تعالى: ﴿ **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ [مُحَمَّد:٢٤].

فبسَبَبِ عَدَمِ التَّدَبُّرِ أو ضعْفِهِ لَوْ ختم العبد القرآن مائة ختمة، لن تتغير سلوكياته وطباعه، وهَذَا مما بغّض بعض النَّاس في من سمتهم الصلاح؛ لأنَّهم يرون الرَّجُلَ ملْتَحٍ، والأُخْتَ منتقبةً، حَافِظَيْنِ لكِتَابِ اللهِ، ثُمَّ عِنْدَ التَّعَامُلِ يَصْدُرُ مِنْهُمَا أفعالٌ لَيْسَتْ لها أيُّ علاقةٍ بالدِّيْنِ.

والذِّكْرُ –كَمَا ذَكَرْنَا – ذِكْرٌ بالقَلْبِ، وذِكْرٌ باللسَانِ، وذِكْرُ اللسَانِ هُوَ الذِي جَاءَ في الحِدِيْثِ، ولكِنْ ذكْرُ القَلْبِ غايةٌ في الأهميَةِ؛ لأنَّهُ سببٌ في صلاحِ الإنْسَانِ.

○ وأمَّا اسم الجَلالَةِ (اللهِ) :

(الله): هُوَ الاسْمُ الأعْظَمُ الذِي إذَا دُعِي بِهِ أجابَ وذلك عِنْدَ كثيرٍ من العلماء، واستدلُّوا بأحاديثَ، مَا بَيْنَ مُصَحِّحٍ لها من أهلِ العلم، وما بين مُضَعِّف.

فَمِنْ أَدِلَّتِهِمْ: ما رواهُ أبو داودَ في " **السُّنن** "[(١)] عن عَبْدِ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَد، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَالَ: «**لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ بِالِاسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى ، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ**».

---

(١) (برقم : ١٤٩٣) ، وأحمد (برقم : ٢٢٩٦٥و ٢٣٠٤١) ، وابن ماجة (٣٨٥٧) ، و الترمذيُّ (٣٤٧٥) ، و النَّسائي في " الكبرى" (٧٦١٩) عن بريدةَ بهِ . وصححهُ الألبانيُّ في " صحيحِ أبي داود " وغيرِهِ .

وقولهُ:« اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ .. »؛ أي: أسأَلُكَ بِعَمَلِي الصَّالح؛ فَيَجُوزُ التَّوسُّل إلى اللهِ بالأعمالِ الصَّالحةِ؛ كَمَا وقَعَ من أَصْحَابِ الغَارِ وغيْرِهِمْ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ بِالِاسْمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ»؛ فعُلِم من هَذِهِ الرِّوَايَةِ أنَّ الاسْمَ الأَعْظَمَ هُوَ (اللهُ).

وَهُنَاك رِوَاياتٌ أُخْرَى جاءَ فِيْهَا أنَّ الاسْمَ الأَعْظَمَ أسماءٌ أُخَرُ، ولكِنْ هَذِه روايةٌ ثابتةٌ صَحَّحَهَا غيرُ واحدٍ من أهلِ العلمِ؛ كالشيخ الألباني رحمه الله وغيرِه، وهذا اختيارُ ابنِ القيّم والطَّحَاويّ والرازيّ وغيرِهم من العُلَماءِ.

وَهُنَا سُؤَالٌ: لماذَا رجَّح فريق من العُلماءُ أنَّ اسم الجلالةِ (الله) هُوَ الاسْمُ الأَعْظَمُ؟

والجَوَابُ:

أولاً: لأنَّ هَذَا الاسْمَ لم يُطْلَقْ عَلَى غَيْرِ اللهِ؛ فلَمْ يَسْتَطِع أحَدٌ أن يُسَمِّي نَفْسَهُ بِهِ، حتَّى الكُفَّارُ والمشْرِكُونَ؛ فَقَدِ اشْتَقُّوا مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ أَسْمَاءً لآلِهَتِهِم؛ كاللَّاتِ والعُزَّى ومَنَاة، ولكِنْ مَا استَطَاعَ أحَدٌ مِنْ مُشْرِكِي العَرَبِ وغَيْرِهِمْ أَنْ يُسَمِّي نفْسَهُ أَوْ أَنْ يُسَمِّي الآلِهَةَ المدَّعاةَ! باسمِ (الله)؛ بَلْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [لقمان:٢٥].

فكَانُوا مُقَرِّيْنَ بتوحِيْدِ الرُّبُوبيَّةِ، وأَنَّهُ تَعَالَى الخالِقُ الرَّزَّاقُ المدَبِّرُ، وكَانُوا يَعْلَمُون أَنَّ اللهَ في السماء، ﴿**وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [الأنفال:٣٢].

ثانيًا: لأَنَّهُ إمَامٌ لِسَائِرِ الأَسْمَاءِ؛ فاسم الله يضاف إليه سائر الأسماء وليس العكس، فنقول الله الكريم، الله الرحيم، الله الغفور، ولا نقول الكريم الله، الرحيم الله، الغفور الله وهكذا؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ **هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [الحشر:٢٢-٢٤].

وكَمَا قَال تَعَالَى : ﴿ **اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾ [آل عمران:٢].

وكذلكَ؛ في الشَّهادَةِ: (أشْهَدُ أنَّ لا إلَهَ إلاَّ اللهُ)، وفي كلماتِ الأذَانِ: (أشْهدَ أنَّ لا إلَهَ إلاَّ اللهُ)، وفي التَّشَهُّدِ: (أشْهَدُ أنَّ لا إلَهَ إلاَّ اللهُ)، وعِنْدَ الذَّبْحِ: (بسْمِ اللهِ)، وعنْدَ الطَّوافِ: (اللهُ أكْبَرُ)، وعند أيِّ أمْرٍ وأيِّ عملٍ نقولُ: (بسْمِ اللهِ).

فهُو إمَامٌ لسَائِرِ الأسْمَاءِ، وجميعُ الأسْمَاءِ تُضَافُ إلى (اللهِ)، ولم توجَدْ آيةٌ ولا حديثٌ فيه أنَّ اسْمَ (الله) يُضَافُ إلى اسْمٍ من أسمائِهِ؛ إلاَّ مَرَّةً مُقَيَّدًا لعِلَّةٍ – في مطلعِ سُورةِ إبراهيمَ –؛ لكِنْ في سَائِرِ الأحْوَالِ نَجِدُ أنَّ الأسْمَاءَ الحُسْنَى هِيَ التِي تُضَافُ إلَيْهِ؛ كما في قَوْلِهُ: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، فلَمْ يُقَلْ: الرَّحْمَنُ الرَّحِيْمُ: اللهُ !!

فهَذِهِ مِنَ الأَسْبَابِ التي جَعَلَتِ عددًا من العُلَمَاءِ يجْنَحُونَ إلى هذا الرَّأي القائلِ بأنَّ اسم الجلالةِ (الله) هُوَ الاسْمُ الأَعْظَمُ. وهو الاسم الوحيد الذي إذا دخل عليه حرف النداء لا تنزع منه الألف واللام، فجميع الأسماء إن دخل عليها حرف النداء نزعت لام التعريف كقولنا يا رحمن يا رحيم، فلا نقول يا الرحمن أو يا الرحيم، لكن في هذا الاسم نقول يا الله.

ويأتِي سُؤَالٌ آخَرُ: هَلْ اسْمُ (اللهِ) مُشتَقٌّ أَمْ غَيْرُ مُشْتَقٍّ؟

هناك نزاعٌ بين أهل العلم:

فرأى عددٌ منهم: أنَّ اسم الجلالةِ (اللهِ) غيرُ مشتقٍّ. حتَّى لا يُظنَّ أنَّهُ دخَلَ فيه شيءٌ مخلوقٌ؛ فاحترازًا من ذلك قالوا: غيرُ مشتقٍّ.

وخالفهم آخرونَ فقالوا: اسم (الله) مشتقٌّ.

قال أبو جرير الطبري رحمه الله: الله، أصله الإله، أسقطت الهمزة التي هي فاء الاسم فالتقت اللام التي هي عين الاسم، واللام الزائدة وهي ساكنة فأدغمت في الأخرى، فصارتا في اللفظ لامًا واحدة مشددة [1] .

قال ابن القيم رحمه الله: زعم أبو القاسم السهيلي وشيخه ابن العربي: أن اسم الله غير مشتق لأن الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها واسمه تعالى قديم والقديم لا مادة له فيستحيل الإشتقاق ولا ريب أنه إن أريد بالاشتقاق هذا المعنى وأنه مستمد من أصل آخر فهو باطل ولكن الذين قالوا بالاشتقاق لم يريدوا هذا المعنى ولا ألم بقلوبهم وإنما

---

(١) انظر: فتح المجيد (ص:١٨).

أرادوا أنه دال على صفة له تعالى وهي الإلهية كسائر أسمائه الحسنى كالعليم والقدير والغفور والرحيم والسميع والبصير فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب وهي قديمة والقديم لا مادة له فما كان جوابكم عن هذه الأسماء فهو جواب القائلين باشتقاق اسم الله ثم الجواب عن الجميع أننا لا نعني بالإشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى لا أنها متولدة منها تولد الفرع من أصله وتسمية النحاة للمصدر والمشتق منه أصلا وفرعا ليس معناه أن أحدهما تولد من الآخر وإنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر وزيادة وقول سيبويه إن الفعل أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء هو بهذا الإعتبار لا أن العرب تكلموا بالأسماء أولا ثم اشتقوا منها الأفعال فإن التخاطب بالأفعال ضروري كالتخاطب بالأسماء لا فرق بينهما فالإشتقاق هنا ليس هو اشتقاق مادي وإنما هو اشتقاق تلازم سمي المتضمن بالكسر مشتقا والمتضمن بالفتح مشتقًا منه، ولا محذور في اشتقاق أسماء الله تعالى بهذا المعنى(١) .

وعلى كلا القولين؛ فالإلهُ هُوَ المعبودُ؛ فأصل الألوهيةِ هي العبوديةُ؛ فتَتَألَّهُ إلى اللهِ؛ أي: تَتَعَبَّدُ إليه، بالمحبة والتعظيم واليقين والإخْبَاتِ؛ فكُلُّ معاني القُلُوب وأعمالِ الجوارحِ هِيَ تألُّهٌ وتعبدٌ للهِ الواحدِ الأحدِ.

قَالَ أبُو الهيثمِ رحمه الله: اللهُ أصله إلاهٌ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَما كانَ مَعَهُ مِنْ إِلهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلهٍ بِما خَلَقَ**﴾ [المؤمنون:٩١].

قَالَ: وَلَا يَكُونُ إلَهاً حَتَّى يَكُونَ مَعْبُوداً، وَحَتَّى يكونَ لِعَابِدِهِ خَالِقًا وَرَازِقًا ومُدبِّراً، وَعَلَيْهِ مُقْتَدِرًا فَمَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَلَيْسَ بِإِلَهٍ، وإِن عُبِدَ ظُلْماً، بَلْ هُوَ مَخْلُوقٌ ومُتَعَبَّد(٢).

فمن صفاتِ الإله أن يُعبدَ ؛ فلا يجوز أن أعبدَ شجرًا، ولا حجرًا، ولا أطوفَ حولَ القبورِ، ولا أتمسحَ فيها؛ لأنَّ من خصائص الإلَهِ لِكَي يكون إلهًا يُعْبَدُ ولابُدَّ أن يكونَ هو الرزاق، والمدبِّر، والخالق؛ فَهَلْ يُعْقَلُ أن يَعْبَدَ أحدٌ مخلوقًا مثلَهُ؟! كمن يعبدُ غير الله من أمواتٍ مَقْبُورين، ويتصوَّرُ أن صاحبَ القبرِ ينفَعُ أو يضُرُّ، وصاحبُ القبرِ مسكينٌ محتاجٌ هُوَ لدُعائي، ولستُ أنَا من أَحْتَاجُ إليْهِ؛ فَهُوَ أشدُّ احتياجًا لَنَا، ثُمَّ أَنَا لا أعْلَمُ إن كان اللهُ غَفَر لَهُ أم لا ؟! فِبجَهْلِ الإنسانِ وظُلْمِهِ لنَفْسِه وبُعْدِهِ عَنْ شرعِ اللهِ يَذْهَبُ للطَّوافِ، والتَّمَسُّحِ بالقُبُورِ.

---

(١) بدائع الفوائد (٢٢/١).

(٢) لسان العرب (٤٦٨/١٣).

فالإلَهُ لكي يكونَ إلهًا؛ لابُدَّ أن يكون قادرًا وخالقًا لعبادهِ، ورازقًا ومدبرًا؛ فإذا لم يكن كذلك؛ فكيف يكونُ إلهًا ؟!

قَالَ تَعَالَى – مُوَبِّخًا لمن سَأَلَ غَيْرَهُ حاجتَهُ –: ﴿ **قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً (٥٦) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا** ﴾ [الإسراء:٥٦ – ٥٧].

وهنا تنبيهٌ مهمٌّ؛ ألا وهو: أنَّ هناك من أهل البدع من ابتدعَ وجَوَّز أن يُذْكَرَ اسمُ (الله) مُنْفردًا، هكذا: الله الله الله!!

وذِكْرُ اللهِ بهذه الطريقةِ بدعةٌ لم يَشْرَعْها اللهُ تعالى ولا رسولُهُ، والله عزَّ وجلَّ يقولُ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٤١]، والنبيُّ ﷺ حثَّ عَلَى الذِّكْرِ في أحاديثَ كثيرةً جدًّا، ولم يأتِ فيْهَا، أنْ نَذْكُرَ (الله) مُفْردًا– إلا في بعض الموضوعات والمنكرات– كَمَا يَفْعَلُ الصوفيَّةُ وغيرُهُم، ويتوهَّمُون أنَّهُم بذلك يَذْكُرونَ اللهَ تَعَالَى.

أمَّا الذِّكْرُ المشرُوعُ ؛ فكَمِثْلِ: سبحانَ اللهِ، والحمدُ لله، واللهُ أكبرُ، ونحو ذلك، وهَكَذَا علَّمَنَا رسولُ الله ﷺ؛ كما في قولهِ: « **مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مِرَارٍ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ**»(١).

و كَقَوْلِهِ ﷺ: « **مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ** »(٢).

أمَّا قَوْلُ: يا اللهُ يا اللهُ؛ فهَذَا ذِكْرٌ مفْرَدٌ، ولم يَرِدْ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَفَعَ يدَهُ، وَقَالَ: يا اللهُ يا اللهُ .. وفَقَطْ!! ولَكِنْ كَانَ يَرْفَعُ يدَيْهِ، ويَقُولُ – مَثَلاً –: «**اللهُمَّ أغثنا**»

---

(١) أخرجه البخاريُّ (برقم : ٦٤٠٤) ، ومسلمٌ (٢٦٩٣) – واللفظ له – عن أبي أيوب الأنصاريّ .

(٢) أخرجه البخاريُّ (برقم : ٣٢٩٣) ، ومسلمٌ (٢٦٩١) عن أبي هريرة .

وكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: « **يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ** » [(١)]

فلَمْ يرفَعِ النَّبِيُّ ﷺ يدَهُ إلى السَّماء، وقال: يا الله يا الله .. قَطُّ، ولا حتَّى في سجودِهِ، ولا في قيامِهِ؛ فمِنْ أيْنَ أتَوْا بِذَلكَ؟! .

فهذا من البدع؛ إذْ لم يَأْتِ ذَلِكَ في حَدِيْثٍ ولا في آيَةٍ، ولم يَشْرَعْهُ اللهُ؛ لا في الكِتَابِ، ولا في السُّنَّةِ؛ فإذَا أرَدْت أَنْ تدع فَلْيَكُنْ بالأدْعِيَةِ المشْرُوعَةِ التي جَاءَتْ في الكِتَابِ، أو عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وإذا كُنَّا لا نَحْفَظُ هَذِهِ الأَدْعِيَةَ؛ فَلْنَدْعُ بأيِّ دعاءٍ؛ شريطةَ أن يكُونَ الدُّعاءُ مُسْتَقِيْمًا لا يَخْرُجُ عَنِ المنْهَجِ؛ فَلَيْسَ فَرْضًا أن نلتَزِمَ بالأدعيةِ المأثُورةِ، ولكِنْ هِيَ أفضلُ مَا نَدْعُو بِهِ، ولكن إذَا كنْتَ لا تحفَظُها؛ فتَخَيَّرْ مِنَ الدُّعاءِ مَا شِئْتَ.

فعن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: "كنا إذا كنا معَ النبيّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم في صلاة، قُلْنا : السلامُ على اللهِ من عبادِهِ، السلامُ على فُلانٍ وفُلانٍ، فقال النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : لا تقولوا السلامُ علَى اللهِ، فإن اللهَ هو السلامُ، ولكن قولوا : التَّحيَّاتُ لِلَّهِ، والصَّلَواتُ،والطَّيِّباتُ، السلامُ عليكَ أَيُّها النبيُّ ورحمةُ اللهِ وبركاتهُ، السلامُ علينا وعلى عبادِ اللهِ الصالحينَ، فإنكم إذا قُلْتُم أصابَ كلَّ عبدٍ في السماءِ، أو بينَ السماءِ والأرضِ، أشهدُ أنْ لاإله إلا اللهُ، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولهُ، ثم يتخيرُ من الدعاءِ أعجبهُ إليه فيدعوهُ" [(٢)]

ومِنَ الأدعيَةِ التي جاءتْ في النُّصُوصِ الشَّرعيَّةِ؛ قولُهُ تَعَالَى: ﴿ **إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ** ﴾ [المؤمنون:١٠٩].

وقوله: ﴿ **وِمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾ [البقرة:٢٠١].

وقوله: ﴿ **رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٨) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ** ﴾ [آل عمران : ٨ – ٩].

---

(١) أخرجه أحمد (١٢١٠٧) ، والترمذيُّ (٢١٤٠) عن أنسٍ . وصحَّحَهُ العلاَّمةُ الألْبَانِيُّ في " المشكاةِ " (٣٧/١) ، و " صحيح الترمذي " وغيرهما.

(٢) صحيح البخاري: (٨٣٥)

ومن أدعية النبي ﷺ : "اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ منَ العَجزِ والكسَلِ ، والجبنِ والهرَمِ وأعوذُ بِكَ من فتنةِ المحيا والمماتِ، وأعوذُ بِكَ مِن عذابِ القبرِ" (١)

وكان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم " يَتَعَوَّذُ مِن جَهدِ البلاءِ، ودَرَكِ الشَّقاءِ، وسوءِ القَضاءِ، وشَماتَةِ الأعْداءِ ." (٢)

وغير ذلك من الأدعية....

ثُمَّ يَأْتِي سُؤَالٌ آخَرُ: هَلْ هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ دُعَاءِ اللهِ بِقَوْلِ (يَا رَبِّ) ودُعَائِهِ بقَوْلِ (يا اللهُ)؟

والجوابُ: نَعْم؛ فالفَرْقُ بَيْنَ الدُّعَاءِ بـ (يَا رَبِّ)، والدُّعَاءِ بـ (يَا الله): أَنَّ (الله) اسم خَاصٌّ بالأُلُوهِيَّةِ؛ لِذَلِكَ جَاءَتْ أَكْثَرُ آيَاتِ القُرْآنِ التي تَشْتَمِلُ عَلَى الدُّعَاءِ بِقَوْلِ (يَا رَبِّ)؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وِمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [البقرة:٢٠١]، وقولِهِ: ﴿ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٨) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران : ٨ – ٩]، وقولِهِ : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ

رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (١٩٢) رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ [آل عمران:١٩٣]، وقولِهِ : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا

---

(١) صحيح البخاري: (٢٨٢٣) ، صحيح مسلم : (٢٧٢٢)

(٢) صحيح البخاري: (٦٣٤٧) واللفظ له ، صحيح مسلم : (٢٧٠٧)

وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[الفرقان:٧٤]، وقولهِ : ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٨٦]؛ فَنَجِدُ الغَالِبَ في هَذِهِ الأَدْعِيَةِ: (رَبَّنَا)؛ لأنَّ الرَّبَّ هُوَ المرَبِّي ، وكلمَةُ الرَّبِّ تَعْنِي: إفرادَ اللهِ بالخَلْقِ والمُلْكِ والتَّدْبِيْرِ؛ فهُوَ المرَبِّي والمدَبِّرُ للأَمْرِ، وهُوَ الرَّازِقُ، ولكِنْ (اللهُ) مُتَعَلِّقٌ بالأُلُوهِيَّةِ؛ فإذَا كَانَ لَنَا حَاجَةٌ؛ فَنَسْأَلُ بـ : (الرَّبِّ)؛ لأَنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بالربوبيَّةِ؛ أي: عطاءُ العبدِ وإكرامُهُ وإنعامُهُ وإمدادُهُ، كلُّ ذلك من خَصَائِصِ الرُّبوبيَّةِ، وهي: التَّدْبِيْرُ والرِّزقُ والمُلْكُ، وأَمَّا خَصَائِصُ الألوهِيَّةِ؛ فهي أَنْ نَعْبُدَهُ؛ فالدُّعاءُ عِبَادَةٌ، ولَكِنْ حِيْنَ أَسْأَلُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ؛ أَقُولُ: (ربَّنَا).

والحِكْمَةُ من أنَّ أَغْلَبَ الدُّعَاءِ في القُرْآنِ بـ: (رَبَّنَا):

أنَّ الرَّبَّ هُوَ المدَبِّرُ، وهُوَ الخَالِقُ ، الرَّازِقُ، – فهذه من خصائص الربوبية كما وضحنا – فالعبْدُ يَسْأَلُهُ بالاسم الذي يخص حاجته؛ فالذِي يَرْزُقُهُ، ويُجِيْبُهُ: "الرَّبُّ"

ولكِنْ لا يَمْنَعُ ذَلِكَ أَنْ يَدْعُوَ العَبْدُ بالألوهِيَّةِ؛ فإذَا سَأَلَ، وَقَالَ: (**اللهُمَّ**)؛ **فلا بأسَ**؛ فلَقَدْ سَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ ودعَا اللهِ بقولهِ: « **اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ** »(١).

ولكِنْ لَيْسَ هَذَا الغَالِبَ، إنَّمَا الغَالِبُ هُوَ السُّؤَالُ بـ: (رَبَّنَا).

○ فائدَةٌ :

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى: عَبْدُ اللَّهِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ** »(٢).

---

(١) أخرجه مُسْلِمٌ في " الصحيح " (برقم : ٤٨٦) عن عائشَةَ.

(٢)صحيح سنن أبي داود (٤٩٤٩)، وصحيح الترمذي (٢٨٣٣)، وابن ماجه (٣٧٢٨).

قَالَ ابْنُ القَيِّم رحمه الله: وَلَمَّا كَانَ الِاسْمُ مُقْتَضِيًا لِمُسَمَّاهُ وَمُؤَثِّرًا فِيهِ كَانَ أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَى اللَّهِ مَا اقْتَضَى أَحَبَّ الْأَوْصَافِ إِلَيْهِ؛ كَعَبْدِ اللَّهِ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَكَانَ إِضَافَةُ الْعُبُودِيَّةِ إِلَى اسْمِ اللَّهِ وَاسْمِ الرَّحْمَنِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ إِضَافَتِهَا إِلَى غَيْرِهِمَا؛ كَالْقَاهِرِ وَالْقَادِرِ؛ فَعَبْدُ الرَّحْمَنِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ عَبْدِ الْقَادِرِ، وَعَبْدُ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ عَبْدِ رَبِّهِ، وَهَذَا؛ لِأَنَّ التَّعَلُّقَ الَّذِي بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ اللَّهِ إِنَّمَا هُوَ الْعُبُودِيَّةُ الْمَحْضَةُ، وَالتَّعَلُّقُ الَّذِي بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ الْعَبْدِ بِالرَّحْمَةِ الْمَحْضَةِ؛ فَبِرَحْمَتِهِ كَانَ وُجُودُهُ وَكَمَالُ وُجُودِهِ، وَالْغَايَةُ الَّتِي أَوْجَدَهُ لِأَجْلِهَا أَنْ يَتَأَلَّهَ لَهُ وَحْدَهُ مَحَبَّةً وَخَوْفًا، وَرَجَاءً وَإِجْلَالًا وَتَعْظِيمًا؛ فَيَكُونُ عَبْدًا لِلَّهِ، وَقَدْ عَبَدَهُ لِمَا فِي اسْمِ اللَّهِ مِنْ مَعْنَى الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي يَسْتَحِيلُ أَنْ تَكُونَ لِغَيْرِهِ، وَلَمَّا غَلَبَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ، وَكَانَتِ الرَّحْمَةُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْغَضَبِ، كَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ عَبْدِ الْقَاهِرِ[1]. انتهى.

* و(عبْدُ اللهِ) فِيْهِ إِضَافَةُ العُبُودِيَّةِ إِلَى اللهِ، وَهَذَا أَفْضَلُ من إِضَافَتِهَا إِلَى غيْرِه من الأَسْمَاءِ؛ كَعَبْدِ القَاهِرِ وعَبْدِ القَادِرِ، وعبْدُ الرَّحمنِ فِيْهَا العَلاقَةُ التي بَيْنَ العَبْدِ وربِّهِ؛ فالتعَلُّقُ الذِي بَيْنَ العَبْدِ وربِّهِ تَعَلُّقُ عُبُودِيَّةٍ؛ فاللهُ؛ هُوَ: الإِلَهُ، وَأَنَا العَبْدُ، والتَّعَلُّقُ بَيْنَ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ وَبَيْنَ عِبَادِهِ هِي: الرَّحْمَةُ، ولِذَلِكَ هُمَا أَحَبُّ الأَسْمَاءِ إِلَى اللهِ؛ لأنَّ الأَوَّلَ إِضَافَةُ العُبُودِيَّةِ إِلَى اللهِ، والثَّانِي فِيْهَا الرَّحْمَةُ المحْضَةُ التي لَيْسَتْ لأَحَدٍ غَيْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَأَيُّ أَحَدٍ رحِيْمٍ بالعَبْدِ؛ كـ: أُمِّهِ، أَو أَبِيْهِ؛ فَمِنَ المحَالِ أَنْ يَرْحَمَهُ مِثْلَ رَحْمَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فسبحانه عَزَّ وَجَلَّ أَوْجَدَنَا وَخَلَقَنَا وَرَزَقَنَا، وأَرْسَلَ الرُّسُلَ ، وأَنْزَلَ الكُتُبَ، وَبَعَثَ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِيْنَ ومُنْذِرِيْنَ، كلُّ ذَلك مِن أَجْلِ العِبَادةِ، حتَّى نَتَأَلَّهَ إِلَيه ، وحتَّى نعبُدَهُ؛ فهَذِهِ هي العلاقةُ التي بَيْنَ اللهِ وبَيْنَ العَبْدِ؛ فالتَّعَلُّقُ بَيْنَ اللهِ وعَبْدِهِ: التَّأَلُّهُ والعِبَادَةُ؛ فَكَانَ أَحَبَّ الأسماءِ إِلَيْهِ: عبدُ اللهِ؛ لأنَّ فِيْهَا إِضافَةَ العُبُودِيَّةِ.

❍ قَوْلُهُ: (الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ):

---

(١) زاد المعاد (٢/ ٣٤٠).

❐ الشَّرْحُ :

الرَّحْمَةُ لُغَةً: الرقَّةُ والتَّعَطُّفُ[1].

والرَّحْمَةُ صِفَةٌ ثابتةٌ للهِ تَعَالَى عَلَى الحقيقةِ عَلَى وَجْهٍ يَلِيْقُ بجلالِهِ وكَمَالِهِ ، وصفاتُ الله كلُّها ثابتةٌ عَلَى الحقيقةِ، ليس فيها مجازٌ ، والقرآنُ كلُّه ليس فيهِ مجازٌ؛ بخلافِ قول أهل البدعِ – كالمعتزلَةِ وغيرِهم – قَدْ نَفَوْا الرَّحْمَةَ عنِ اللهِ، وقالُوا: هِي مجازٌ !!

وأما أَهْلُ السُّنةِ؛ فيعتَقِدُون أنَّ القرآنَ كلَّهُ عَلَى الحقيقةِ، ونقلَ ابْنُ عبد البَرِ وغَيْرُهُ الإجْمَاعَ عَلَى ذلكَ[2].

والاسْمَان مشْتَقَّان من الرَّحْمةِ، ولَكِنِ (الرَّحْمَنُ) أَشَدُّ مبالَغَةً من الرَّحِيْمِ.

❍ مَا الفَرْقُ بَيْنَ اسْمِ (الرَّحْمَنِ وَالرَّحِيْمِ)؟

الجوابُ: الفَرْقُ بَيْنَهُمَا عَلَى قَوْلَيْنِ للعُلَمَاءِ :

القَوْلُ الأَوَّلِ: هو أنَّ (الرَّحْمَنَ) ذُو الرَّحْمَةِ الشَّامِلَةِ لجمِيْعِ الخَلائِقِ في الدُّنْيَا، يَرْحَمُ كُلَّ العِبَادِ في الدُّنْيَا؛ فالكافِرُ يَعْيشُ بِرَحمَةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، يأكُلُ ويَشْرَبُ ويتَحَرَّكُ ويَتَكَلَّمُ؛ أَلَيْسَت هَذِهِ رحمةً؟ وأيضًا؛ فالكافرُ يَنَامُ، وكانَ مِنَ الممكنِ أنَّ يُذْهِبَ من عَيْنَيْهِ النَّوْمَ، وكذلك؛ رزقهُ اللهُ المالَ والأولادَ والصِّحةَ وغيْرَ ذَلِكَ مِنَ النِّعَمِ.

فـ : (الرَّحْمَنُ) ذُو الرَّحْمَةِ الشَّاملَةِ لجميعِ الخلائقِ في الدُّنْيَا، وللمُؤْمِنِيْنَ في الآخِرَةِ، أي: في الدُّنْيَا يَرْحَمُ النَّاس جميعًا، ولكِنْ في الآخرَةِ تَكُونُ (الرَّحْمَةُ) للمُؤْمِنِيْنَ.

وأمَّا (الرَّحِيْمُ)؛ فَهُوَ ذُو رحمة بالمؤمِنين يَوْمَ القِيَامَةِ، ومِنْ أدِلَّتِهِم عَلَى ذَلِكَ؛ قولُهُ تَعَالَى : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان:٥٩]، وأيْضًا؛ قولُهُ تَعَالَى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه:٥]؛ فَهُوَ ذُو الرَّحْمَةِ الوَاسِعَةِ التي تَشْمَلُ جَمِيْعَ الخَلائِقِ، وذُكِرَ الاستواءُ باسْمِ (الرَّحْمَنِ)؛ ليَعُمَّ جميعَ الخلائقِ بِرَحْمَتِهِ؛ فقولهُ: (اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ)؛ أي: أن جميعَ الخَلْقِ مُتَعَلِّقِيْنَ بِصَاحِبِ العَرْشِ: الرَّحمَنِ الرَّحِيْمِ؛ فذَكَرَ العَرْشَ؛ لِيُبَيِّنَ أنَّ الرَّحمَةَ تعُمُّ كُلَّ الخلْقِ في الدُّنْيَا؛ فَهُو رحمنٌ لكُلِّ الخِلْقِ في الدُّنيا، وفي الآخِرَةِ للمُؤْمِنين فَقَط، وأَمَّا (الرَّحِيْمِ)؛ فهُوَ (الرَّحَيْمُ) بالمؤمنين يَوْم القِيَامَةِ.

---

(١) انظر: الصحاح للجوهري (ص:٣٩٨).

(٢) التمهيد (١٣١/٧).

ومِنْ أَدِلَّتِهِمْ: ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب:٤٣]؛ فَقَالُوا : (الرَّحِيْمُ) – هُنَا – مُتَعَلِّقَةٌ بِالمؤْمِنِيْنَ، ولا تكُونُ للكَافِرِيْنَ ؛ فـ : (الرَّحْمَنُ) للمُؤْمِنِ والكَافِرِ في الدُّنْيَا، و(الرَّحِيْمُ) لا تكونُ للكَافِرِ؛ فلا نَقُولُ بالكُفَّار رَحِيْمٌ؛ لكِنْ بالمؤمِنْيِنَ.

ولكِنْ اعْتَرَضَ بَعْضُ العُلَمَاءِ عَلَى هَذَا القَوْلِ،وقَالُوا: يُشْكِلُ هَذَا القَوْلُ؛ لأنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالى يقُولُ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة:١٤٣] ، والناسُ – هُنَا – اسْمُ جنْسٍ يَشْمَلُ النَّاسَ جميعًا؛ فقولُهُم: (رَحِيْمٌ) بالمؤمنين فقَطْ، يُرَدُّ عَلَيْهِ بهذهِ الآيةِ.

القَوْلُ الثَّانِي: هو أنَّ: (الرَّحْمَنَ) دالٌّ عَلَى الصِّفَةِ الذاتيةِ القائمةِ بِهِ سبحانَهُ، و(الرَّحِيْمِ): دالٌّ عَلَى تَعَلُّقِهِ بالمرْحُومِ، وهِي أيْضًا صِفَةٌ؛ لكنَّهَا صِفَةُ فِعْلٍ.

فالأوَّلُ (الرَّحْمَنُ) للصِّفَةِ، والثَّاني (الرَّحِيْمُ) للفعْلِ؛ أي : يرحمُك ويُعَلِّمُك، ويَرْحَمُك ويَشْفِيْك، ويَرْحَمُك – وأنْتَ في المعَاصِي – ويرَزُقَكَ التَّوبَةَ؛ فالرَّحِيْمُ متعلِّقٌ بالفِعْلِ.

ومن أدلَّتِهم: قولُهُ : ﴿ **وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا** ﴾ [الأحزاب:٤٣]، وقولُهُ: ﴿ **إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [التوبة:١١٧]، وقولهُ: ﴿ **بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [التوبة:١٢٨]، وقولهُ: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [البقرة:١٤٣]، ولم يُقَلْ قَطُّ في القُرْآنِ أنَّهُ: رحْمَنٌ بِهِم ؛ فإذَا ذُكِرتِ الرَّحْمَةُ التي عَلَى وجْهِ الفِعْلِ والتَّعلُّق بالمخْلُوق لا يُقَالُ فِيْهَا: رَحْمَنٌ، ولكِنْ رَحِيْمٌ بِهِمْ، فَدَائِمًا (الرَّحِيْمُ) تَأْتِي عَلَى الفِعْلِ؛ فتَعَلُّقُهَا بالمخْلُوقِ هُوَ: فِعْلُ اللهِ فِيْهِمْ أَنَّهُ رَحِمَهُمْ؛ لَكِنْ (الرَّحْمَنُ) لا تَأْتِي عَلَى صورة فِعْلٍ، ولَكِنْ دَائِمًا تَأْتِي عَلَى صورة وَصْفٍ، كقولهِ: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه:٥]، وقولهِ: ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا** ﴾ [الفرقان:٥٩]، أو (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ).

فالخلاصةُ – هُنَا – أنَّهُم قَالُوا: (الرَّحْمَنُ) مُتَعَلَّقٌ بالوصْفِ، و(الرَّحِيْمُ) مُتَعَلِّقٌ بالفِعْلِ[(١)] .

---

(١)وهذا القول قد رجحه ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد (١/٢٤).

❑ قَالَ الْمُصَنِّفُ : (اعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَعِ مَسَائِلَ) :

📖 الشَّرْحُ :

(اعْلَمْ): لفظةٌ تُقَالُ إِذَا أَرادَ المتكلِّمُ أنْ يُبيِّنَ أهمية شيء ما، فـ: (اعْلَمْ)؛ للانْتِبَاهِ والالْتِفَاتِ بِأَنَّ الذِي يَأْتِي بَعْدَ هَذِهِ الكَلِمَةِ شَيءٌ مُهِمٌّ.

العِلْمُ لُغَةً: علمتُ الشيء أعلمُهُ عِلما: عرفته[1] .

لكن المعرفةِ لَيْسَتْ كالعِلْمِ؛ لأنَّ المعْرِفَةَ يحتَمِلُها الظَّنُّ، ويحتَمِلُهَا الجزْمُ؛ أي: أعْرِفُ الشَّيءَ، ولكِنْ أعرِفُهُ معرفةً غَيْرَ جازمةٍ، ولكِنَّ العِلْمَ متعلِّقٌ بالجَزْمِ؛ فإذَا علِمْتَ الشَّيءَ عَلَى حقيقتهِ علمًا جازمًا؛ فَهَذا يُسَمَّى عِلْمٌ؛ كَمَا إِذَا قُلْتُ لَكَ: أيْنَ يَقَعُ هَذَا المعْهَدُ ؟ فَيَرُدُّ أحَدُهُم: ويقُولُ: في القَاهِرة؛ فَهَذَا علْمٌ؛ لأنَّهُ أدْرَكَ الشَّيءَ إِدْرَاكًا جازمًا لَيْسَ فيه شَكٌّ؛ لكِنِ المعرفةُ تَحْتَمِلُ العِلْمَ، وتحْتَمِلُ الظَّنَّ؛ أي: يردُّ أحدُهم؛ فيقُولُ: المعْهَدُ ربما في شُبْرَا وربما بمكانٍ آخَرَ؛ فقوله هذا لا جزم فيه.

لِذَلك إِذَا تَكَلَّمْنَا عَنِ اللهِ تعالى؛ فإنَّنَا نَصِفُهُ بِالعِلْمِ لا بالمعْرِفَةِ؛ فَنَقُولُ: الله عليمٌ، أَوْ: اللهُ يعْلَمُ؛ ولا نَقُولُ: اللهُ عَارِفٌ، أو: اللهُ يَعْرِفُ كذَا وكذَا؛ لأنَّ المعرفةَ تَحْتَمِلُ العِلْمَ والظَّنَّ.

قَالَ الرَّاغِبُ الأصفهانيُّ رَحِمَهُ اللهُ: العِلْمُ: إدْراكُ الشَّيءِ بِحَقيقَتِه...قالَ: والعِلْمُ من وَجْهٍ ضَرْبان: نَظَرِيٌّ وعَمَلِيٌّ، فالنَّظَرِيُّ: مَا إذَا عُلِمَ فقَد كَمُلَ، نَحْوَ العِلْمِ بِمَوْجودَاتِ العالَمِ، والعَمَلِيُّ: مَا لَا يَتِمُّ إلاّ بأَنْ يُعْلَمَ، كالعِلْمِ بِالعِباداتِ. وَمن وَجْهٍ آخَرَ ضَرْبان: عَقْلِيٌّ وسَمْعِيٌّ[2]. انْتَهى.

وأَعْلَمْتُهُ وعَلَّمْتُهُ في الأصل واحدٌ، إلاَّ أنَّ الإعلام اختصَّ بما كان بإخبار سريعٍ، والتعلُّم اختصَّ بما يكون بتكرُّرٍ وتكثيرٍ حتى يحصل منه أثرٌ في نفس المتعلم.

فالعلم النظريُّ يحتاج إلى معرفةٍ، مثل: معرفة أركان الصلاة، وكيفية الصيام والحج؛ فهذا يحتاجُ إلى بحثٍ ودراسةٍ.

---

(١) الصحاح (ص:٧٣٨).

(٢) تاج العروس (١٢٧/٣٣).

❍ أهميةُ النيةِ في العملِ :

للنيَّةِ أهميةٌ في العمل، فمجرد إرسال رسائلَ بلا إكتراث، أو كتابة ورقاتٍ ولصقِها على الجدران مكتوبٌ فيها (اذْكُرِ الله)، أو (صلِّ على الرسول ﷺ)، فيقرؤُها الناس، فيَظنُّ الذي كتبها أنه قد حملَ الناسَ على الصلاةِ على النبيِّ ﷺ، ولكن إذا كانت نية القارئ أن يَذْكُرَ اللهَ، أو يُصلِّيَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وليس مجردَ قراءةِ ورقةٍ فقَطْ؛ فله أجرٌ، ولكن إذا كانت نيتُهُ مجردَ قراءةِ ورقةٍ مكتوبةٍ فحسب؛ فليس له أجرٌ؛ لقَولِ رَسُولِ الله ﷺ:« **إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**» (١)

❍ الصبرُ عَلَى طلبِ العلمِ:

قال ابنُ شهاب الزهريِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فيما رواه ابنُ عبد البر في كتاب " **الجامع** " بإسنادهِ عَنْ يُونُسَ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ شِهَابٍ، يَا يُونُسُ، « **لَا تُكَابِرِ الْعِلْمَ؛ فَإِنَّ الْعِلْمَ أَوْدِيَةٌ، فَأَيُّهَا أَخَذْتَ فِيهِ قَطَعَ بِكَ قَبْلَ أَنْ تَبْلُغَهُ وَلَكِنْ خُذْهُ مَعَ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي، وَلَا تَأْخُذِ الْعِلْمَ جُمْلَةً؛ فَإِنَّ مَنْ رَامَ أَخْذَهُ جُمْلَةً ذَهَبَ عَنْهُ جُمْلَةً وَلَكِنِ الشَّيْءُ بَعْدَ الشَّيْءِ مَعَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ**» (٢)

فيجبُ على طالب العلم أن يُحصِّل صغارَهُ قبل كبارِهِ.

قال البخاريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَيُقَالُ: الرَّبَّانِيُّ الَّذِي يُرَبِّي النَّاسَ بِصِغَارِ العِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ؛ أَي: بالتدريج، وَقيل غير ذَلِك (٣)

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِيه – أيضًا – تَنْبِيهٌ لأهل الْعلم على تربية الأمة؛ كَمَا يربِّي الْوَالِد وَلَده؛ فيربونهم بالتدريج والترقي من صغَار الْعلم إِلَى كباره، وتحميلهم مِنْهُ مَا يُطِيقُونَ؛ كَمَا يفعل الأب بولده الطِّفْل فِي إيصال الْغذَاء إليه(٤)

ثم شرع المؤلف في شرح الأربعة مسائل ومنها:

---

(١) أخرجه البخاريُّ (١)، ومسلمٌ (١٩٠٧).

(٢)جامع بيان العلم وفضله (برقم :٦٥٢).

(٣) صحيح البخاري (٢٤/١) ، وكما في " الفتح " (١٢١/١) .

(٤) مفتاح دار السعادة (٦٦/١) .

❶ **الأُوْلَى** : (العِلْمُ ، وَهُوَ مَعرِفَةُ اللَّهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ) :

الشَّرْحُ :

قَصرَ المؤلِّفُ العِلْمَ عَلَى مَعْرِفَةِ اللهِ تعَالَى ؛ لَكِنَّ العِلْمَ أوْسَعُ مِنَ ذَلِكَ ، ولكنَّهُ أَرَادَ أنْ يَقُولَ أَنَّ العِلْمَ المطْلُوبَ مِنْكَ هو معرفة الله.

○ مراتبُ الإدراكِ ستٌّ [١]:

أولًا: العِلْمُ، وهُوَ: إدراكُ الشيءِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ إِدْرَاكًا جَازِمًا.

ثانيًا: الجَهْلُ البَسِيْطُ، وهُوَ: عَدَمُ الإِدْرَاكِ بالكُلِّيَّةِ.

كَمَا إِذَا قُلْنَا لأحدٍ: أيْنَ تَقَعُ مِصْرُ ؟ فَيقُولُ: لا أَعْلَمُ؛ فَهَذَا جَهْلٌ بَسِيْطٌ، وهَذَا الجَهْلُ أخفُّ منَ المركَّبِ، وهُوَ الآتِي.

ثالثًا: الجهْلُ المركَّبُ، وهُوَ: إِدْرَاكُ الشَّيءِ عَلَى وجْهٍ يُخَالِفُ مَا هُوَ عَلَيْهِ.

وهَذِه هِي مُشْكِلَةُ الأمَّةِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ اللهُ؛ فَإِذَا سَأَلْنَا أَيَّ أحدٍ في أيِّ مسألةٍ؛ فإنَّهُ يُجِيْبُ بِدُونِ علمٍ؛ فيصعب على كثيرين قول: لا أَعْلَمُ! ونحن نقولُ: عدمُ العلْمِ وإنْ كان قبيحًا، ولكِنَّ الإجابَةَ بِدُونِ عِلْمٍ أقْبَحُ؛ لأنَّها قَدْ تَضُرُّ بِالسَّائِلِ؛ فصَارَ أهَمُّ شيءٍ عِنْدَ المسئولِ أَنْ لا يَقُولَ: لا أعْلَمُ .

مثلا إِذَا سَأَلْتَ أَحَدًا: هَلْ يَجُوزُ أَنْ أُصَلِّي تَحِيَّةَ المسْجِدِ في هَذَا المكَانِ، أم أنَّ هَذَا المكانِ لَيْسَ مَسْجِدًا؛ فيردُّ بدُونِ عِلْمٍ، ويقُولُ: يَجُوزُ، ولا يحبُّ أن يَقُولَ: لا أَعْلَمُ؛ فبإمكانه أَنْ يَقُولَ: لا أَعْلَمُ، أو اسْأَلْ أحدًا غيْرِي، ولكنْ صَعُبَ عَلَيْهِ ذَلِكَ، وهذِهِ مُصِيْبَةٌ عَظِيمةٌ، وسيُحَاسَبُ عَلَيْهَا؛ لأنَّهُ أفْتَى بِدُونِ عِلْمٍ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣].

وصاحِبُ الجَهْلِ المركَّبِ عَلَى خَطَرٍ؛ لأنَّهُ مُعْجَبٌ بنَفْسِهِ، ولا يَعْتَرِفُ بجَهْلِهِ؛ فتَجِدُهُ يَرُدُّ ويقُولُ: هذا هُوَ الصَّحيحُ، وإذا قُلْتَ لَهُ: هَذِه بدعةٌ، يَرُدُّ ويَقُولُ: نحْنُ نَفْعَلُ هَذَا الأمْرَ مِنْذُ زمنٍ، مِثْلَ: قراءةِ القرآنِ في العَزَاءِ؛ فَإِذَا أَنْكَرَ عليه أَحَدٌ يَبْدَأ يَسْتَعْمِلُ أدلَّةً لَيْستْ في محَلِّهَا ويقُولُ: النَّبِيُّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ القُرْآنَ !! وغَيْرُ ذَلِكَ؛ فأيُّ عقلٍ عِنْدَ هَؤُلاءِ؟

---

(١) شرح ثلاثة الأصول لابن العثيمين (ص:١٨) بتصرف.

فخَطَرُ الجَهْلِ المركَّبِ؛ أنَّ صاحبَهُ عَنِيْدٌ، ويُصِرُّ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، ومِنَ الصَّعْبِ أَنْ يُذْعِنَ للحَقِّ؛ لأنَّهُ يَتَصَوَّرُ أنَّ عندَهُ عِلْمٌ؛ فهو مُعْجَبٌ بما عِنْدَهُ وبِمَا في عَقْلِهِ، أمَّا صَاحِبُ الجَهْلِ البَسِيْطِ تجِدُ صَاحِبَهُ مُتَواضِعًا – في الغالب-؛ فإذا سُئِلَ يَقُولُ: لا أعْلَمُ؛ فيرْفَعُهُ اللهُ ويُعَلِّمُهُ؛ فَإِذَا قَالَ اليَوْمَ: لا أَعْلَمُ؛ فَغَدًا يَرْزُقُهُ اللهُ العِلْمَ.

فالجَهْلُ – إِذَن – نَوْعَانِ: بَسِيطٌ، ومُرَكَّبٌ، وأشَدُّهَا الثاني.

رابعًا: الوَهْمَ، وهُوَ: إدْرَاكُ الشَّيءِ مَعَ احْتِمَالِ ضِدٍّ رَاجِحٍ.

كَأَنْ يُعْطِيَكَ أحدٌ معلُومةً، ولكِنَّ الضِّدَّ لهذِهِ المعلُومةِ هُوَ الرَّاجِحُ، وكَمِثَالٍ: إِذَا قُلْتَ لأحدٍ: هلْ ستَنْجَحُ هَذِهِ السَّنَةَ؟ فيَرُدُّ عليْك: نَعْم، سَوْفَ أنْجَحُ، والضِّدُّ هُوَ الرَّاجِحُ أنَّهُ سيَرْسُبُ؛ لأنَّهُ لم يأتِ، ولم يحْضُرْ دُرُوسَهُ، ولم يُذَاكِرْ، ثمَّ تَخَيَّل شيئًا لَنْ يحْدُثَ؛ فهَذَا ا يُسَمَّى (وَهْمًا) ؛ أَيْ: إدْرَاكُ الشَّيءِ مَعَ ضدٍّ راجحٍ.

وهَذَا الأمْرُ مَوْجُودٌ عِنْدَ كَثِيْرٍ منَ النَّاسِ؛ فَحَيَاتُهم مَبْنِيَّةٌ عَلَى الأَوْهَامِ؛ فَتَجِدُ الشَّابَّ مَوْهُومًا أَنَّ هذِهِ الفَتَاةَ تُحِبُّهُ، أو البِنْتُ مَوْهُومَةٌ أنَّ هَذَا الشَّابَّ يُحِبُّهَا، أو تتوهم البِنْتَ أنَّها أجْمَلُ أو أذكى من غيرها، وَهَكَذَا يَتَوهَّمُون أشْيَاءَ كثِيْرَةً.

فَهَذا هُوَ الوَهْمُ: أنْ يَتَصوَّرَ الإنْسَانُ شيئًا عَلَى عَكْسِ حَقيقتِهِ؛ فَالرَّاجِحُ لضدِّهِ هُوَ الصَّحِيحُ.

وَهَذَا عِنْدَ بَعْضِ الفِرَقِ الضَّالةِ ؛ كالمرجئَةِ؛ لا إقبالَ عندَهُم عَلَى اللهِ، ولا عَلَى الصَّلاةِ، ولا أيِّ عَمَلٍ، ولكنَّهُم – مَعَ ذَلِكَ – يَقُولُونَ: إنَّ اللهَ رحمنٌ رحيمٌ، سيُدْخِلُنَا الجنَّةَ، ويستَدِلُّون بِأَنَّ امْرَأَةً دَخَلَتِ الجنَّةَ في كَلْبٍ سَقَتْهُ [1]، ويعِيْشُونَ في الوَهْمِ الذِي هُوَ إِدْرَاكُ الشَّيءِ مَعَ ضدٍّ رَاجِحٍ، والرَّاجِحُ أنَّهُمْ سيَدْخُلُون النَّارَ بأَفْعَالِهِم هَذِهِ إلاَّ أنْ يَشَاءَ اللهُ شيئًا.

---

(١) أخرجَهُ البُخَارِيُّ (٣٣٢١ ، ٣٤٦٧)، ومُسْلِمٌ (٢٢٤٥) من حديْثِ أبي هريرة رَضِي اللهُ عنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَنَّ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيفُ بِبِئْرٍ ، قَدْ أَدْلَعَ لِسَانَهُ مِنَ الْعَطَشِ ، فَنَزَعَتْ لَهُ بِمُوقِهَا ؛ فَغُفِرَ لَهَا ".

خامسًا: الشَّكُّ، وهُوَ: إدْرَاكُ الشَّيءِ مَعَ احْتِمَالٍ مُسَاوٍ.

وكمثالٍ: إذَا كُنْتَ تُصَلِّي، وحَدَث شكٌّ في الصَّلاة؛ فقد قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « **إِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ، فَلَمْ يَدْرِ كَمْ صَلَّى ثَلَاثًا أَمْ أَرْبَعًا، فَلْيَطْرَحِ الشَّكَّ، وَلْيَبْنِ عَلَى مَا اسْتَيْقَنَ، ثُمَّ يَسْجُدُ سَجْدَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ** »(١)

فإذَا كُنْتُ – مَثْلاً – أُصَلِّي الظُّهرَ، وحدثَ شكٌّ في صلاتي؛ هَلْ أَنَا في الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ أم الثَّالِثَةِ، والاحتِمَالاتُ مُتَسَاوِيَةٌ عِنْدِي، ولا أَسْتَطِيْعُ الجَزْمَ هَلْ أَنَا في الثَّانِيَةِ أو الثَّالِثَةِ؛ فالنَّبِيُّ ﷺ بَيَّنَ لَنَا حُكْمَ ذَلِكَ أَنْ نَبْنِي عَلَى الأَقَلِّ؛ فتكونُ هي الركعَةَ الثَّانِيَةَ، وفي نهايَةِ الصَّلاةِ أَسْجُدُ سَجْدَتَيْنِ للسَّهْوِ.

سادسًا: الظَّنُّ، وهُوَ: إدْرَاكُ الشَّيءِ مَعَ احْتِمَالِ ضدٍّ مَرْجُوحٍ.

أي: في الغَالِبِ أَنَّ الذِي عَلَيْهِ الشَّخْصُ صَحِيْحٌ، وكمثالٍ عَلَى ذلِكَ: طَالِبٌ عِنْدَهُ ظَنٌّ أَنَّهُ بِنِسْبَةِ سَبْعِيْنَ بالمائَةِ سَوْفَ ينْجَحُ؛ فالرَّاجِحُ أَنَّهُ سَيَنْجَحُ، والمرْجُوحُ أَنَّهُ سَيَرْسُبُ؛ فَاحْتِمَالُ النَّجَاحِ أَعْلَى.

والظَّنُّ يَأْتِي في القُرْآنِ – في الغَالِبِ – بمعْنَى اليَقِيْنِ؛ قَالَ تَعَالَى : ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة:٤٦].

وقَالَ تَعَالَى – حكَايَةً عَنِ العَبْدِ المؤْمِنِ –: ﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ ﴾ [الحاقة:٢٠] .

---

(١) أخرجهُ مسلمٌ (برقم : ٦٧١) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِي اللهُ عنْهُ.